ركزت على دوره بمصر وتونس واليمن والجزائر وليبيا والعراق وسوريا..

قراءة تحليلية في سيرة التنظيم العالمي (الإخوان) طيلة (٩٥) سنة (الحلقة الأولى)

الإخوان.. (٩٥) عامًا من الدمار

الأمناء تحليل/ صبري العفيف:

إن جماعة الاخوان منذ تأسيسها في مطلع القرن الماضي رسم مؤسسوها أهدافها الاستراتيجية، مستخدمة الدين غطاء لباسا لتصرفاتهم وتحقيق أهدافهم المرسومة سياسيا واقتصاديا وعسكريا، مستخدمين عددًا من الوسائل المشبوهة التي يظن بها الناس أنها من الدين حتى صار التعاطف معهم في عدد من المراحل سببًا في بقائهم واستمرار حركتهم المشبوهة.

فجماعة الإخوان هم جماعة دينية انتهازية متطرفة تستخدم العنف والتطرف والغلو في سبيل إلحاق الضرر بمعارضيهم وخصومهم وشعوب المنطقة والعالم أجمع، لما تقوم به من عبث وفساد وإفساد وإثارة الفتن بكل وسيلة لأنهم لا يحكمهم مبدأ ولا يعنيهم شأن الأمة كما يزعمون ولا يمنعهم معتقد من جرائمهم فالغاية عندهم تبرر الوسيلة، وقد يجتمعون مع اختلاف الأفكار حتى مع خصومهم في سبيل توحيد الغاية السياسية لهم.

وفي هذا الدراسة نحاول أن نقف على مراحل التطور السياسي والتحالفات المحلية والدولية لتلك التنظيمات في سبيل إيجاد عواصم إسلامية وعربية لتطبيق فكرهم انطلاقا من أهدافهم الاستراتيجية.

أسئلة الدراسة

1 - لماذا الإخوان هم خطر وشر مطلق على الحكومات العربية وكافة فئات الشعب ومقومات العمل المؤسسي والتنموي والسياسي والديمقراطي؟

-2 لماذا الإخوان يقوضون حلم الشعوب في الوطن العربي في أن يكون هناك تنمية وازدهار مستقبلي بحسب ما تحدده مؤسساتها الوطنية من أهداف استراتيجية؟

-3 هل يصح تشبيه مناطق سطوة الإخوان بأفغانستان وصعدة حيث الحوثي، والضاحية الجنوبية في عاصمة لبنان بيروت حيث حزب الله، بسطوة ميليشيات إيران في العراق وبمناطق سيطرة عليها داعش والقاعدة في المنطقة؟

-4 كيف ان مشروع دويلة الخلافة في معظم المناطق العربية كلها ضمن سلسلة واحدة تتوافق مع بعض وهدفها تقويض السلطات المؤسسية والشرعية وحراك المجتمع المدني ومواجهة التنمية؟

-5 لماذا جماعة الإخوان تحرض بالقتل والتهجير على أي منطقة لا يكون فيه خطرهم وسطوتهم؟

-6 عداء الإخوان للأنظمة العربية وقواتها العسكرية هل هو ناتج عن عقيدتهم الهدامة التي ليس من مصلحتها أن يكون هناك شرعية حقيقية ومؤسسات رسمية في الدول؟

للإجابة عن كل تلك الأسئلة يتوجب علينا أن نقف على الخلفية التاريخية والأيديولوجية لتلك التنظيمات وأهدافها الاستراتيجية التي تبنتها منذ تأسيسها.

ملمح تاريخي عن نماذج العنف

تعد موجات العنف التي ارتست عليها أفكار ذلك التنظيم هي الطريقة المثلى التي ارتأتها قيادة التنظيم الدولي ابتدأ من مصر ومرورا بأفغانستان وصولا إلى اليمن، تنظيم الاخوان بكل فروعه وطوائفه يعد تنظيما دوليا عابرا للحدود فلا يحترم سيادة الدول التي يعيش ويعمل فيها، بل هو أشبه بدولة داخل الدول.

لذا نرى أن جماعة «الإخوان» دائما ما تشعل حروباً كثيرة وتزعزع الاستقرار وتفكك الأمن القومي في كثير من البلدان العربية كمصر واليمن والجزائر وتونس وبعض دول الخليج التي تسللت إليها وهيمنت على مراكز القوى فيها، خاصة بعد فوضى ما سمي «الربيع العربي».

يعد «الإخوان» تنظيماً خطيرا على الامن القومي العربي وجماعة إرهابية بكل المعايير الدولية وحزباً أيدولوجيا هداما للقيم والنسيج الاجتماعي للأوطان فمهما تلون وتشكل بأي شكل من الأشكال فأنه يعود لسيرتها الأولى فهو

جماعة الإخوان في مواجهة دولة الجنوب

لا يقبل الأخر ولن يرضى إلا إن يكون حيث تكون مصالحة الدولية التي تهم التنظيم فالوطن عنده مجرد رقعة جغرافية لا تكن ذا قيمة أن لم تكن ضمن المشروع الكبير وتلك هي المعضلة التي تعد عائقا وتهديدا للأمن القومي أينما حل.

منذ سنوات وعقود عانت منها دول العالم من عنف وإرهاب هذا التنظيم، وبعد تصنيف الجماعة تنظيماً إرهابياً في عديد البلدان، وخاصة أن أدلة التورط في الإرهاب كانت واضحة وعلنية والتي تتهم باستخدامها، وهذا يتناغم مع ما قاله رئيس لجنة الأمن القومي الأميركي، رون ديسانتس من أن «الإخوان المسلمين» هي «منظمة مسلحة لها جماعات تتبعها في 70 دولة»، وأن بعض هذه الجماعات تصنفها الولايات المتحدة على أنها إرهابية، وقال «إن سياسة واشنطن أخفقت في التصدي لنهج العنف لدى تنظيم (الإخوان) الإرهابي ودعمه لجماعات متشددة»، ولعل الكشف عن محتوى وثيقة «المشروع» التي وجدت عند تفتيش أحد مخابئ قادة التنظيم في سويسرا، وهي وثيقة من 14 صفحة تحوي مُخطّطات «الإخوان» تشمل بلاد الغرب، وليس فقط منطقة الشرق الأوسط، وهي بمثابة مشروع للسيطرة على الغرب.

فتنظيم جماعة «الإخوان» المبتدع دينياً والفاشل سياسياً، هو في الأصل صناعة بريطانية، في زمن غابر كانت السياسة البريطانية في حاجة لاختراق المجتمع العربي والإسلامي بتنظيم يعادي القوميين العرب الذين نصبوا العداء للسياسة الاستعمارية التوسعية لبريطانيا، وكذلك تنامي الصحوة الإسلامية الشبابية خاصة والحاجة لوجود تنظيم تستطيع استخدامه وتطويع الشباب من خلاله ويكون تحت رعايتها.

الهيمنة المجتمعية ساعدت في انتشار التنظيم من خلال الزعم بالعمل «الدعوي» لتنظيم «الإخوان»، فهو ما مكن التنظيم من سهولة الانتشار واستقطاب الأعضاء وحتى الأصدقاء والمحبين والمتعاطفين معه، خاصة أن الجماعة تحسن استخدام بكائية «المظلومية».

التنظيم الشرس لا يخفي تبنيه لأفكار متشددة ومنها أفكار سيد قطب التي تبنى فيها مفهوماً مبتدعاً سماه «الحاكمية» الذي برر من خلاله «تكفير» المجتمع المسلم.

والتنظيم في حقيقته عابر للحدود رغم نفي قيادته المحلية، ولكن اللائحة الداخلية تكذب مزاعمهم، فطبقا للمواد من 49 إلى 54 في النظام الأساسي لـ«الإخوان»، فإن على قيادة الأقطار (الدول) الالتزام بقرارات القيادة العامة متمثلة في المرشد العام ومكتب الإرشاد العام ومجلس الشورى، مما يؤكد أن التنظيم عابر للحدود ولا يحترم سيادة الدول التي يعيش ويعمل فيها، بل هو أشبه بدولة داخل الدول، حيث يرتبط أعضاؤه ببيعة الولاء والطاعة العمياء للمرشد، الأمر الذي يشكل خطراً مباشراً على الأمن القومي للبلدان التي يتم اختراقها من هذا التنظيم.

فشل التنظيم حتى في حروبه العبثية، التي أججها في المنطقة، كالتي أشعلها في ليبيا بالتحالف مع «داعش» وبقايا تنظيم «القاعدة»، ضد الجيش الوطني الليبي، ثم سرعان ما تنكر لهم كعادته، وفشل في تونس، وتلاحقه اليوم ملفات الاغتيالات والجهاز السري وتمويل وتسفير مواطنين تونسيين للقتال في صفوف «داعش» في ليبيا وسوريا.

تنظيم جماعة «الإخوان» لا يحسن سوى التآمر والعمل السري والاغتيالات، بعد فشله الكبير في الحكم عندما تولى السلطة في مصر وليبيا وتونس والمغرب واليمن.

تنظيم الإخوان في مواجهة الأنظمة العربية بمصر

في مطلع السبعينيات كانوا ضمن الموالين لجمال عبد الناصر لكن النظام المصري لم يقبل بأفكارهم بقيام جمهورية إسلامية، وبعد موت عبد الناصر جاء إلى رأس السلطة الرئيس أنور السادات، لكن وقف بقوة أمام تلك الجماعات التكفيرية، وفي مطلع الثمانينات بعد أن ضاق عليهم الخناق بدؤوا يسربون فتاوى التكفير ضد رموز النظام المصري فبادروا في اغتياله قبل اغتيال مشروعهم الجهادي التكفيري.

وأظهروا ذلك الاغتيال السياسي علنا وتم السيطرة على الانقلاب على النظام السياسي في مصر وأقيمت المحاكمات لأبرز قياداتهم.

ثم توالت العمليات الإرهابية من اغتيالات وتفجيرات بدءاً من أولى عملياتهم الإرهابية في القرن الماضي بمصر، مما دفع كبيرهم حسن البنا إلى محاولة التبرؤ منهم بالقول إنهم «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين»، فكان هذا اعترافاً من كبيرهم ومؤسسهم وصانعهم حسن الساعاتي الشهير بالبنا بعد سلسلة من التفجيرات وعمليات الاغتيال التي قام بها الجهاز السري للجماعة، وراح ضحيتها العشرات من الأبرياء، مما تسببت في حالة حرج للبنا، الذي يزعم أن جماعته «دعوية» لا علاقة لها بالعنف، بينما هو القائل: «لم يكن السيف في يد المسلم إلا كالمشرط في يد الجراح لحسم الداء الاجتماعي»، مما يجعل قرار التخلص من حسن البنا قد يكون جاء من داخل التنظيم نفسه بعد حالة الانشقاق المبكر.

التنظيم والهجرة إلى أفغانستان

وبعد ذلك حولت تلك التنظيمات وجهتها الى الدول الإسلامية فكانت أفغانستان هي المحطة الثانية لقيام مشروع الوحدة الإسلامية التي هي هدف استراتيجي لهم لتحقيق الخلافة الإسلامية للوطن العربي والإسلامي.

فتم حشد كل المجاهدين الى ارض أفغانستان لمحاربة الاتحاد السوفيتي ودارت المعارك هناك حتى سقط الإتحاد السوفيتي واستعادة اول عاصمة سياسية لتلك التنظيمات الجهادية وأعلن طالبان سيطرتها على أفغانستان وكان نموذجا للحكم الإسلامي الذي يزعمون.

جماعة الإخوان في مواجهة دولة الجنوب

في عام 1990، تمّ توحيد جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية الجنوبية والجمهورية العربية اليمنية الشمالية لتشكيل دولة يمنية موحدة. وفي حين كان يُعنى بالتوحيد نظريًا أن يكون رمزيًا لمستقبل سلمي أكثر بالنسبة لليمن بعد عقود من التوتر والصراع بين الدولتين، إلا أنه على أرض الواقع بقيت العلاقات بين شمال والجنوب متزعزعة، حيث برزت التوترات من جديد في عام 1994. وخلال هذه الفترة من الزمن، وصل "الأفغان العرب العائدون" – وهو المصطلح الذي يشتهرون به على نحو واسع – إلى الجنوب وأصبحوا أداة مفيدة بيد صالح ضدّ الاشتراكيين الجنوبيين، فشكّلوا بذور ما تطوّر لاحقًا ليصبح تنظيم "القاعدة في جزيرة العرب".

ففي كتابه "الملاذ الأخير"، عالج غريغوري جونسن التناقضات بين اليمن وحكومات عربية أخرى في دعمها للجهاد بأفغانستان ضد السوفيات، ولا سيما في ظل توجه المزيد من المقاتلين العرب إلى أفغانستان منتصف ثمانينيات القرن الماضي.

وأشار جونسن إلى أن معظم الحكومات العربية "دعمت علنًا الجهاد رادعةً سرًا شبابها من السفر إلى أفغانستان". في المقابل، أرسلت الجمهورية العربية اليمنية الشمالية العديد من "أفضل وألمع" شبابها إلى الخطوط الأمامية للقتال، حيث أصبحت الرحلة بمثابة طقس عبور للكثيرين. وبعد عودة "المجاهدين" إلى اليمن التي باتت موحدة مطلع التسعينيات، لقوا ترحيب الأبطال من قبل حكومة الرئيس صالح الشمالية – حيث تبوأ البعض منهم حتى مناصب عسكرية رسمية.

ويمكن شرح حماسة حكومة الشمال إزاء الحرب في أفغانستان جزئيًا بالدور الذي لعبه السوفيات باليمن. فقبل التوحيد، كانت جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية خاضعة لسيطرة الاتحاد السوفياتي وكانت الدولة الشيوعية الوحيدة في شبه الجزيرة العربية. وبعد التوحيد، لعب هذا الشرخ الكبير في الإيديولوجيا دورًا في سلوكيات "الأفغان العرب العائدين" إزاء الجنوب أيضًا. وحين اندلعت الحرب الأهلية في صيف العام 1994، غزا جهاديو الشمال الجنوب، متسلحين بفتوى دينية تبرر قتل الكفار الاشتراكيين في الجنوب. وصدرت الفتوى عن وزير العدل اليمني الشمالي عبد الوهاب الديلمي والداعية عبد المجيد الزنداني، علمًا بأن الاثنين مدرجان الآن على قائمة الإرهاب العالمي الصادرة عن الولايات المتحدة.

وبعد أن هزمت الجماعات الشمالية القوات العسكرية الجنوبية، لم يغادر "الأفغان العرب" قط. وبدلًا من ذلك، أصبحوا ذراع الحكومة الشمالية في الجنوب، المستخدمة للدفاع عن الوحدة اليمنية وحمايتها. وبسطت الحكومة الشمالية كامل سيطرتها على الجنوب من خلال تطبيق الوحدة بالقوة، حيث اعتبر العديد من يمنيي الجنوب الوحدة كأنها احتلال. وبقي "الأفغان العرب" هؤلاء في المناطق الجنوبية وأحكموا قبضتهم عليها خلال هذه الفترة.